*شرط التبيين، ومسألة الإبدال من المجرور*

*بحث في النحو*

*إعداد/ منى السيد عوض إبراهيم*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*Mona\_aoud@yahoo.com*

***خلاصة—هذا البحث يبحث في شرط التبيين، ومسألة الإبدال من المجرور.***

*الكلمات المفتاحية:الفعل البدل، المبدل منه.*

# ***المقدمة***

معرفة *أسس شرط التبيين، ومسألة الإبدال من المجرور،* بين لنا السيرافي أن المبدل منه ليس في نية الطرح بالكلية، وإلا لو قلت: زيد رأيت أباه عمرًا، فحذفت كلمة أباه؛ لصار التركيب: زيد رأيت عمرًا، وهذا لا يجوز، هذا تركيب فاسد محال. كما قال الرجل -عليه رحمة الله. كذلك من الفاسد المحال أن تقول: رأيت زيدًا أباه، وأنت تقصد: أنك رأيت زيدًا الذي هو صاحبه، وأباه أي: أبا رجل لا تعرفه أو أبا رجل أنت تعرفه؛ لكنه ليس زيدًا، إذا قلت: رأيت زيدًا أباه على هذا النحو؛ ينبغي أن يكون في ضميرك، وفي معلوم من تخاطبه أن الأب الذي رأيت هو أبو زيد، وليس أبًا لأحد آخر غير زيد*.*

1. *المقالة*

يقول سيبويه: ولا يجوز أن تقول: رأيت زيدًا أباه، والأب غير زيد. أي: أنك تبني الكلام كما قال سيبويه: على فعل هو العامل، وعلى مفعول به بعد الإتيان بالفاعل المتصل به فصارا معًا كالكلمة الواحدة، ثم أتيت بعد ذلك بالمفعول وهو زيد، وأردت أن تؤكده نوع توكيد أشار إليه الرضي فيما سيأتي بعد من تفصيل، أردت أن تبين ذلك أي: بيان بأن تذكر شيئًا متصلًا به، كما ذكرت شيئًا متصلًا بالقوم من عدد حسبته أدق.

فأنت حين قلت: رأيت أكثر قومِك. أو رأيت قومَك كان الكلام مستقيمًا؛ أي: كان مبنيًّا من حيث الضبط، على رأى، وعلى فاعلها المتصل بها، وعلى قومك الذي هو مفعول به، هذا من حيث الضبط لا شيء فيه، ومن حيث المعنى، إما أن تكون قد رأيت قومه كلهم، وإما أن تكون قد رأيت قومه بعضهم، ربعهم ثلثهم ثلثيهم ثمنهم. أن ترى ما ترى الأمر مبني على الاتساع.

إلا أن في البدل ضربًا من التوكيد والتحديد والدقة والتفصيل. فأنت تقول: رأيت قومك. هذا تعبير سليم. وتقول: رأيت قومك نصفهم. ورأيت قومك ثلثهم، ورأيت قومك ثلثيهم، ما ألجأك إلى ذلك إلا البداء، ما معنى أن البداء ألجأك؟ معناه: أنك قلت: رأيت قومَك، وهذا تعبير يتسامح فيه الناس، ربما تكون رأيت من قومي من تخاطب بعضهم، وربما تكون قد رأيت من قومي من تخاطب ثلثهم على التحديد، وربما تكون قد رأيت من قومه ثلثيهم. ولم تر الثلث الأخير الغائب. هذا كله جائز، ويغنيك عنه أنك قلت: رأيت قومك.

لكن البداء: ما بدا للمخاطب وقد يبدو له، قد يسألك سؤالًا قد يقول لك: من رأيت من قومي؟ هل رأيت من قومي فلانًا وفلانًا وفلانًا؟ فتقول: لا، ربما يقول لك: فلم تقول: رأيت قومك. تقول: يا أخي، أما عرفت أن في العربية مجازًا مرسلًا، وأني أطلق الكل، وأريد الجزء، أما تسمع قول الله تعالى: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [نوح: 7] هل معنى هذا أن القوم كان نوح -عليهم السلام- إذا دعاهم ليغفر لهم الله جعلوا الأصابع كلها في الآذان أم أنهم كانوا يضعون فقط الأنامل في الآذان؟ إذن عبر ربنا بالكل وأراد الجزء، وعندئذ قد يطول الحوار إذا لم يكن المخاطب يفهم المعنى البلاغي العالي للتركيب.

إذن بدا لك أنت بداء، قد يكون من هذا البداء، أنك تريد الالتزام والدقة، وقد يكون من هذا البداء أنك تعلم إنَّما المخاطب بالكلام لا يفهم المعنى البلاغي الذي عليه كلام العرب. لذلك قال سيبويه من قبل بأنه قد يبدو له بداء أن يتكلم فيقول: رأيت قومَك. ثم يبدو له أن يبين ما الذي رأى منهم؟ فيقول: ثلثَيهم أو ناسًا منهم. أي: أنه لم يرهم كلهم جميعًا أجمعين، كما قال في التوكيد من قوله سبحانه وتعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} [الحِجر: 30] هذا توكيد صريح وقد أخذ منه معنى التوكيد.

إلا أنه عاد فبين أن القضية الآن في التعبير أنك تقول: رأيت زيدًا أباه، فهل معنى هذا، أن زيدًا الذي بني عليه الفعل، واستعمل من أجله الفعل فنصبه، مفعولًا به، هل معنى هذا أن زيدًا هو زيد بن محمد، وأن أباه المراد به أبو عمرو أو أبو خالد؟ أم أن سيبويه يريد أن ينطلق من هذا إلى أنك إذا قلت: رأيت زيدًا أباه، أي: رأيت أبا زيد، ورأيت عمرًا أخاه، أي: ليس أخا زيد، وإنَّما رأيت أخا عمرو، كما كنت تقول: رأيت قومك أكثرهم، أي: أكثر قومك.

إذا عدت إلى كلام السيرافي الذي بين لنا أن المبدل منه ليس في نية الطرح بالكلية، وإلا لو قلت: زيد رأيت أباه عمرًا، فحذفت كلمة أباه؛ لصار التركيب: زيد رأيت عمرًا، وهذا لا يجوز، هذا تركيب فاسد محال. كما قال الرجل -عليه رحمة الله. كذلك من الفاسد المحال أن تقول: رأيت زيدًا أباه، وأنت تقصد: أنك رأيت زيدًا الذي هو صاحبه، وأباه أي: أبا رجل لا تعرفه أو أبا رجل أنت تعرفه؛ لكنه ليس زيدًا، إذا قلت: رأيت زيدًا أباه على هذا النحو؛ ينبغي أن يكون في ضميرك، وفي معلوم من تخاطبه أن الأب الذي رأيت هو أبو زيد، وليس أبًا لأحد آخر غير زيد، هل المسألة في تحليل أسلوب ذكره سيبويه، أم أنه ينبني عليها قاعدة؟

القاعدة التي تنبني على هذا المثال: أن هناك علاقة بين البدل وبين المبدل منه. وهذه العلاقة هي التي تسمح بهذا النظم من الكلام على أساس أن تأتي بالفعل، ثم تستعمله في اسم، سواء أكان هذا الاسم مرفوعًا بهذا الفعل، أم كان منصوبًا به بعد أن يستوفي رفع فاعله.

إذا أردت أن تربط بين ذلك وبين الحياة. فماذا تقول يا من درست (الكتاب) ووقفت على معناه؟

الجواب: أنك تقول: جميل أن تبين لون ثيابك بأن تضع الريش من جنسه، أو من جنس لونه، أو من لون يتناسب معه، جميل أن تبين مبناك من جنسه، وليس من الجميل أن تبين الطوب بالحديد، وليس من الجميل أن تبين القماش الذي من حرير بخشب، كأن الدعوة إلى التناسب مما يفتح لك الباب حول دراسة الموضوعات اللغوية، وأنت تعلم أنه قد قرئ قول الله تعالى: "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلًا وَأَغْلالًا وَسَعِيرًا" [الإنسان: 14] مع أن سلاسلَ ممنوعة من الصرف، فما الذي صرفها في هذه القراءة؟

الجواب ما قاله العلماء: من أنها وقعت وبعدها منون ومنون، فللتناسب مع ما جاء منونًا بعدها قرئت منونة.

وإذا كنت قد اطلعت على قول العرب: هذا جحر ضب خربٍ. والأصل فيه أن تقول: هذا جحر ضب خربٌ. إلا أنه أصابه الجر لما كان مجاورًا للمجرور؛ فقد يؤخذ الجار بظلم الجار، هذا الذي تذكره في العلم، وتستنبطه من كتاب سيبويه، ومن غيره من الكتب ألا يدلك على علاقة اللغة بحياة الناس، نحن إذا أردنا أن نبين أنفسنا بيناها بصناعتنا لا بصناعة غيرنا وإذا أردنا أن نصلح من أمر أنفسنا أمر بعضنا بعضًا بالمعروف، ونهى بعضنا بعضًا عن المنكر، وقد قال الله تعالى: {ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ} [طه: 132] أنت إذا أمرت عليهم امتثلوا، وإذا أمرتهم أطاعوا، كذلك تصطبر عليهم؛ لكنك ربما لا تصطبر على غيرهم، هكذا تكون العلاقة بين اللغة وبين حياة أصحابها.

يقول سيبويه: لأنك لا تبينه بغيره. ولا نافية في أسلوب سيبويه أم ناهية؟ إنها نافية؛ لأنك لا تبينه. يعني: أنت دائمًا لا تبين الاسم بغيره، ولا بشيء ليس منه، وكذلك لا تثني الاسم توكيدًا، وهنا لا بد أن تقف لأقول لك: ما المراد بالتثنية في أسلوب سيبويه؟ هل يراد بالتثنية أن تثنّي زيدًا على زيدين؟ وناجح على ناجحين؟ والرجل على الرجلين؟ ومسلم على مسلمين؟ يعني: أن تأتينا باسم يدل على اثنين ويغني عن متعاطفين. ولا بد أن يكون له مفردان في الواقع، وقد أشار بذلك النحاة إلى أن قولنا: العمران، لا يجوز على الحقيقة، وإنَّما هو على التغليب؛ لأن العمران مراد بهما: عمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق. معنى ذلك: أن سيبويه لا يعني بالتثنية: أن تأتي باسم يدل على اثنين، ويغني عن متعاطفين، ومعنى إغنائه عن متعاطفين: أن قولك: هذان مسلمان، يغني عن قولك: هذا مسلم، وهذا مسلم.

لكن المراد بالتثنية في أسلوب سيبويه: التثنية التي ذكرها على وجه التوكيد في نحو: رأيت قومَك أكثرهم. معنى التثنية في هذا أنك قلت: رأيت قومَك، ثم ثنيت بذكر الأكثر، فقلت: رأيت قومَك أكثرَهم، كأنك قلت: رأيت قومَك. رأيت أكثرَهم. هذا معنى التثنية في كلام سيبويه. التثنية أي: تثنية الإسناد الذي يفيد التوكيد. ويقول سيبويه: وكذلك لا تثني الاسم. لا هنا نافية؛ أي: أنها ليست بناهية؛ لأن سيبويه لا يوجه إليك نهيًا، وإنما ينفي عنك تهمة أن تستعمل الكلام على غير وجه العربية.

واستعمالك الكلام على غير وجه العربية. هنا معناه أنك تثني الاسم أو أنك تبينه بغير ما يتصل به، هذه هي المخالفة وتلك هي التهمة. يقول سيبويه: وكذلك لا تثني الاسم توكيدًا، وليس بالـأول، وليس بشيء منه؛ فإنما تثنيه وتؤكده مثنى، يعني: معادًا مكررًا بغرض التوكيد، بما هو منه. أو هو هو.

والمقصود بقول سيبويه: "أو هو هو": بدل الكل من الكل؛ لأنك عندما تقول: جاء عبد الله أخوك. فمعنى ذلك: أن عبد الله هو أخوك، وأن أخوك هو عبد الله. معنى ذلك: أنه هو هو؛ فأنت أردت أن تثنيه، وأردت أن تعيده؛ لتبينه وتوضحه، خصوصًا إذا كان لمن تخاطبه أخ اسمه عبد الله آخر، أو صديق اسمه عبد الله، أو عامل اسمه عبد الله، فهو سيقول لك: من عبد الله؟ إذا قلت له: حضر، أو جاء عبد الله. يقول لك: من عبد الله؟ فتقول: جارك، صديقك، أو الشاعر، أو التاجر.

إذن المراد بقوله -رحمه الله: هو هو؛ بدل الكل من الكل، والمراد بقوله: أو مثنى بما هو منه. هذا يشمل بدل البعض، ويشمل بدل الاشتمال، وهو في بدل البعض أوضح؛ لأنه منه، ولا ينطبق ذلك على بدل الغلط، سوف يذكر سيبويه بدل الغلط فيما يأتي: قال سيبويه: وإنَّما يجوز: رأيت زيدًا أباه. ورأيت زيدًا عمرًا. أن يكون أراد أن يقول: رأيت عمرًا، أو رأيت أبا زيد، فغلط أو نسي، ثم استدرك كلامه بعد، وهذا الذي بشرتك به آنفًا، وقلت لك: سوف يذكر سيبوبه بدل الغلط، معنى ذلك: أن بدل الغلط، وإن كان على شرط التثنية، وإن كان داخلًا ضمن العنوان الذي ذكره سيبويه: هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل منه اسم آخر داخل في هذا. بلا شك.

لكنه أراد أن يبين العلاقة بين البدل وبين المبدل منه؛ فذكر أنه لا يجوز أن نقول: رأيت زيدًا أباه. والأب غير زيد، ثم استطرد فقال: أنت لا تثني الاسم بهدف التوكيد، وأنت لا تؤكده، إلا بشيء منه أو شيء هو له أو هو هو، يعني: لا تؤكد الاسم، إلا بمن هو في معناه، كما في جاء عبد الله أخوك، أو بما فيه بعض أو اشتمال، والضمير فيهما يدل على العلاقة. كما تقول: أعجبني زيد علمه. وفق ما قال سيبويه: لا يجوز أن يكون المراد من قولك: أعجبني زيد علمه. أن العلم ليس علم زيد؛ وإنَّما العلم هو علم زيد، فالهاء في "علمه" تعود على زيد، الذي بنيت عليه الجملة، وأسست عليه العبارة، فقلت: أعجبني زيد، فزيد فاعل أعجبني، وعلمه بدل من زيد. وهو بلا شك يوضح المعنى في زيد.

إذا قست ذلك على ما قاله الإمام سيبويه فيما سبق: ولا يصح أن تثني الاسم وأن تؤكده قائلًا رأيت زيدًا أباه، والأب غير زيد، إذا قست ذلك عليه قلت: بالله عليكم معشر النحاة، أليس زيدًا مخالفًا عمرًا؟ -على الحكاية هكذا بالنصب- قلنا لك: بلى، تقول: فكيف تستقيم قاعدة سيبويه؟ إن قاعدة سيبويه إذا أردنا أن نحققها ها هنا، قلنا: هذا الأسلوب لا يصح؛ لأنه قد اشترط في البدل أن تكون هناك علاقة بين البدل وبين المبدل منه، وهنا لا علاقة بين زيد وعمرو؛ فإن المتحدث -بلا شك- يريد أن يبين لنا أنه ما رأى زيدًا، وإنَّما رأى عمرًا، وعمرو غير زيد. فالحل هنا أن سيبويه قد استثنى صورة بدل الغلط من هذا الذي ذكره في العلاقة.

وقال: أن يكون أراد أن يقول: رأيت عمرًا. أو رأيت أبا زيد، فغلط أو نسي ثم استدرك كلامه بعدُ، بعدُ لماذا بنيت على الضم؟ تشبيهًا بالغايات. إذا حذف المضاف إليه ونوي ذكره بني على الضم كما في قول الله تعالى من سورة الروم: {ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [الروم: 2 - 5] فقال تعالى الله: {ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} أي: لله الأمر من قبل النصر، ومن بعد النصر، وأنت تعلم أنها هكذا تنطق؛ فلما حذف المضاف إليه مع نية ذكره، بنيت قبل وبعد على الضم، وهكذا بنى سيبويه بعدُ فقال: ثم استدرك كلامه بعدُ.

التقدير: أن تقول ثم استدرك كلامه بعد أن غلط، أو بعد الغلط، أو بعد النسيان. فتحذف المضاف إليه، وأنت ناو ذكره، فتبني الظرف بعد على الضم، وبناؤه على الضم دليل على أنك تريد وتنوي أن تذكر المضاف إليه.

وإما أن يكون أضرب عن ذلك فنحاه وجعل عمرًا مكانه، ويجوز أن يكون الإضراب في مثال سيبويه على هذا المعنى؛ ولكن من بُعد، أنك تقول: رأيت زيدًا عمرًا. من باب أنك لما رأيت زيدًا، تمنيت أن لم تكن رأيته، وتمنيت أن تكون قد رأيت عمرًا مكانه، فكأنك قلت: يا ليت عينيا ما رأتا هذا الذي يسمى زيدًا، ويا ليت عينيا رأتا عمرًا الذي يملأ العينين ويحقق الرغائب، ويأتي بالغائب.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ